الذي كان لهم في ايام الظلم والاستبداد . ولذلك لا يبعد ان تكثر مهاجرة اخوانهم الغرباء الى البلاد العثمانية واستعمارهم الاراضي البائرة الآن كقفار العراق وغيرها من الجهات التي ليست آهلة بالسكان

فالبيان الذي ذكر في هذه المقالة والمقالات السابقة اولاً عن رجال تركيا الفتاة ورجال تركيا العجوز وثانياً عن العناصر العثمانية وآرائها واحوالها واميالها يجلو للقارىء بعض ما يعترض في سبيل الاصلاح . وبعض ما يساعد ايضاً على النجاح . وكان الواجب لاستيفاء الكلام على العناصر العثمانية ان نذكر الدروز والاكراد ايضاً . ولكن الدروز يمشي عليهم اجمالاً ما قلناهُ عن العرب لانهم يعدُّون منهم في ما نحن بصدده وكذلك الكرد يمكن ان يعدوا في عداد الترك او العرب حسب موقع بلادهم . وسنبدي رأينا الخصوصي في الحالة في مقالة تالية ثم نختم مقالاتنا عن زيارة الاستانة بنظرة عمومية في الاستانة واهلها وضواحيها والله المستعان

العنكبوت

حقيقة في فكاهة

دخلت غابة باسقة الاشجار ملتفة الاغصان يجري فيها نهر متعرج . فلما وصلت اليهِ شاهدت على احدى ضفتيهِ عنكبوتاً سوداء اللون جالسة على حجر تنظف وجهها بيديها كما يفعل الذباب وهي نحيفة خائرة القوى . فرأيت ان افضل ما افتتح بهِ الحديث معها السؤال عن صحتها فقلت لها اراكِ منحرفة المزاج فما يؤلمكِ

فقالت اني مريضة وخائفة وقلقة

فقلت ما الخبر ولم يخطر ببالي قط ان عنكبوتاً مثلكِ تمرض وتخاف وقد خصصتِ بقوة لم يخص بها سواكِ

فقالت وهذه احدى البليتين فان الناس يظنون الظنون ويستنتجون النتائج من مقدمات فاسدة لا تنتج شيئاً ومع ذلك فاني اظن ان فصبي تفتح عينيك فترى الامور على حقيقتها . أتعلم اننا نحن معشر العناكب من أكثر المخلوقات اجتهاداً واوسعهم حيلةً فنحن اول من طار في الهواء بغير جناح . فمع ان الخفافيش تطير ولا جناح لها ولكن بين قوائمها وظهرها اغشية

رقيقة كالاجنحة ومثلها السناجيب الطيارة اما نحن العناكب فليس لنا اجنحة ولا اغشية ومع ذلك تمكنّا من ركوب الهواء ولم يشاركنا في ذلك الاّ الانسان لكننا سبقناهُ بقرون كثيرة . قل لي متى استطاع قومك الطيران

نقلت سنة ١٧٠٩

فقالت هكذا ظننت اما نحن فقد ركبنا الهواء قبل عصر العمران واليك شرح قصتي — حدث منذ سنين ان امي كانت جالسة في تعريتها فاتاها الطلق وجعلت تبيض بيضها واحدة بعد الاخرى وظلت تبيض الى ان بلغ عدد ما باضتهُ ذلك اليوم ثلثمئة بيضة وخافت ان تتفرق البيوض فلا يعود لها سبيل اليها فجعلت تغزل الخيوط من مغازلها وهي ست انابيب في ذنبها تغزل الخيوط الحريرية الدقيقة التي تسمونها نسيج العنكبوت وتضربون بها المثل في الوهن لدقتها وهي لو جُمعت بعضها مع بعض لصارت امتن من املاك الحديد . فافرزت كثيراً من هذه الخيوط ولفت بيضها بها وكورت لفهُ حتى صارت البيوض كلها كرة كبيرة تحيط بها خيوط صفراء كالزغب الراهي او كريش النعام . ولما تمّ لها ذلك حملت هذه الكرة بين فكيها وخرجت من بيتها قاصدة ان تصعد بها الى مكان عالٍ لا يصل اليهِ ماء النهر اذا فاض في الشتاء . وبعد تعب كثير وجهد عنيف وصلت الى مكان عالٍ ووضعت بيوضها في ثقب غائر بين الصخور ثم عادت الى بيتها على ضفة النهر . ولو رآنا احد انا واخواتي في ذلك اليوم والايام التالية لظننا يزوراً دقيقة اجتمع عليها زغب الحرير ومع ذلك لم يخلُ دقيقةً من الخطر ففي ذات يوم زارنا طائر قبيح المخبر ولو لم يكن قبيح المنظر مبرقش بالزرقة والصفرة لكي يخفي شراسة اخلاقهِ وجعل يفتش بين الشقوق والخارب ويستخرج الديدان والحشرات منها ويأكلها ولحسن حظنا كانت امنا قد اختفت في نقرة عميقة فلم يهتدِ الينا . ومرّ بنا فصل الشتاء ونحن بيضٌ ثم خرجنا من بيوضنا في الربيع ولم نخرج منها ديداناً بل خرجنا عناكب دفعةً واحدة وهذا امر يستحق الاعتبار فان الفراش والنحل والخنافس تخرج كلها ديداناً صغيرة ثم تصير زيزاناً قبل ان تبلغ درجة الكمال اما نحن فممتازات عليها كلها لاننا نخرج من البيض عناكب كاملة كما يخرج اصدقاؤنا الجنادب . خرجنا من بيوضنا ولكننا كنا صغاراً كرؤوس الدبابيس ولما خرجنا لم نستطع ان نرى الاشياء واضحة لاننا كنا محاطات باغشية رقيقة صيانةً لنا كما تصان الجواهر في اكياسها . ولقد كنتُ اول من مزّق كيسهُ وخرج منهُ فلما انجلت عيناي ذهلت عن نفسي بما رأيتهُ حولي من اتساع الوادي الذي كنا فيهِ وكبر كل ما حولي بالنسبة اليّ فكنت ارى النبتة الصغيرة فاحسبها شجرة كبيرة لكنني شغلت عن ذلك حالاً

بما رأيتهُ حولي من كثرة اخواتي اللواتي خرجن من بيوضهن مثلي وبينا انا انظر اليهن سمعت صوتاً يخاطبنا بلهجة الآمر الناهي فالتفتُّ واذا المتكلم عنكبوت كبيرة جالسة في باب بيتها وهي امنا فاصغينا اليها فقصت علينا خبر ما اصابها من العناء بسببنا اما انا فلم يذهلني خبرها قدر ما اذهلني شيء رأيتهُ تحتها وهو كأنهُ عنكبوت ميتة فلما اتمت حديثها قلت لها ما هذا الذي اراهُ تحت اقدامك يا اماه

فقالت هذا ابوك ياولدي

فقلت ولكنني اراهُ ميتاً لاجراك به

فتبسمت وقالت نعم هو ميت فقد انقضت ايام الافراح ولم يعد لي به ارب فقتلتهُ ومصصت دمهُ ولم يبقَ منهُ الاَّ جلدهُ وساجعلهُ فراشاً لي وهو فراش وثير في ليلة ندية مثل هذه

فقلت لها هل اتزوج متى كبرت وآكل زوجي

فقالت لا لانك انت ذكر يا ولدي وستأكلك زوجتك كما اكلتُ انا اباك . ولا تدنُ مني الآن لاني احياناً آكل اولادي ايضاً

هذا اول نبإ سمعتهُ في حياتي فما اتعس هذه الحياة هل تتصور حياةً اتعس منها

فقلت لهُ بعد ان عرفت انهُ ذكر الآن عرفت لماذا انت خائف كاسف البال ولكن لك اسوة بنا فكم من رجل منا أكلتهُ زوجتهُ

فقال ألا تريد ان تسمع بقية قصتي

فقلت بلى هات ما عندك

فقال حالما ابأتنا امي انها تأكل اولادها اطلقت ارجلي للريح وهربت من وجهها نازلاً نحو النهر حتى وصلت الى مائهِ فوجدت انني استطيع ان امشي على الماء كما امشي على اليابسة فسررت بذلك جداً

فقلت لهُ هذا امر لم اكن اعلمهُ

فقال انك لا تعلم مقدار ما نستطيعهُ اذا اضطررنا اليهِ . نعم ليس كل العناكب تستطيع ذلك ولكن بعضها يستطيعهُ وانا منهم ومن انسبائنا نوع يغوص في الماء ويسكن في قناعة من الهواء ونوع يثب على الارض مثل القنفر ولا غرابة في مشينا على الماء فان بيننا وبين السراطين نسباً ولو كان بعيداً

فقلت لهُ اصبت فانك تشبه السرطان في شكلك

فقال نعم ولكن السرطان لا يكتفي بثماني ارجل مثلنا بل لهُ عشر ارجل ولماذا تقطع عليَّ الحديث دعني اتم قصتي . لما رأيت اني امشي على وجه الماء بادرت الى اقرب قصباء واخذت السيخ بيتاً لنفسي لكي اجعلهُ مصيدةً للذبان وقبل ان اتممتهُ مشيت على قصبة فوجدت عليها حشرات صغيرة خضراء اللون خالية من الاجنحة فقبضت على واحدة منها والتهمتها فاستطبتها فجعلت التهم الواحدة بعد الاخرى حتى انتفخ بطني وشعرت كأنهُ كاد يتشق

فقلت لهُ كيف كنت تلتهمها اكنت تبلعها بلعاً

فقال كلاَّ بل كنت اشق ظهرها من بين كتفيها وامتص دمها فلا يبقى في جسمها شيئاً غير جلدها . ولما شبعت عدت الى بناء بيتي فاتممتهُ وجلست فيهِ اترقَّب وقوع الذباب فوقع فيهِ ذباب كثير فاكلت وسمنت جداً حتى كنت اضطر ان اخلع جلدي مراراً لانهُ لم يعد يسعني وكثيراً ما كانت تنقطع يد او رجل مني وقت خلعهِ

فقلت كيف ذلك اوَ لم يكن قطعها مؤلماً حتى تتكلم عنهُ بدم بارد

فقال بلى كنت اتألم نوعاً ولكن نحن العناكب لا نتألم مثلكم ولا مثل الديدان فاذا انقطعت رجل من ارجل الدودة ماتت حتماً واما نحن العناكب فاذا قطعت رجل من ارجلنا نبتت لنا رجل اخرى بدلاً منها وقد قطعت اثنتان من ارجلي فنبتت لي غيرها . ولا داعي للاطالة في تاريخ حياتي عند ذلك النهر فاودعهُ واقص عليك قصة غيَّرت مجرى اموري . كنت ذات يوم جالساً في بيتي اتردد على بابهِ داخلاً خارجاً لعلي ألقت اليَّ ذبابة كبيرة واقفة على قصبة امامي وبينما انا انظر اليها واتأمل جناحيها اذا بالجناحين سقطا عن بدنها بغتةً واذا بتلك الذبابة قد صارت بعد وقوع جناحيها نملة كبيرة كاقبح ما يكون من النمل

فقلت لهُ الاَّ تعلم ان ملكات النمل يرمين اجنحتهنَّ بعد زواجهنَّ

فقال كلاَّ لم اكن اعلم ذلك فوقعت مدهوشاً وقبل ان افيق من دهشتي جعلت النملة تناجي نفسها وتقول هلا هلا لقد كان الواجب عليَّ ان اعرف ان جناحيَّ يسقطان اليوم فلا ابقى هنا فوق الماء ولا هذا القصب وامكان المشي عليهِ الى البر لقضي عليَّ . ما هذا امامي هذه عنكبوت اذاً آخذها معي الى قريتي واكلها على مهلي

وانت تعلم ما حاق بي حينئذٍ فرميت بنفسي من بيتي الى الماء واخذت اسبح بكل جهدي ولم ابعد الاَّ خطىً قليلة حتى رأيت حركة عنيفة في الماء فالتفت واذا انا بحفنة كبيرة من خنافس الماء وقد رفعت ذبانتيها وجدَّت في اثري سباحةً . ونظرت امامي اريد الهرب واذا انا بدودة كبيرة من الدود الذي يتكون منهُ زنبور الشين وعيناها كمصباحين متقدين فسدَّت في

وجهي مسالك الماء واليابسة ولم يبقَ امامي الاَّ الهواء فوثبت الى ورقة من ورق زنبق الماء ولجأت الى سليقة اسلافي وافرزت من مغازلي السنة التي في ذنبي ستة خيوط حريرية دقيقة فالتحمت معاً وطارت في الهواء خيطاً واحداً يرّاقاً كالبلور فتشبثت به وطرت بمجاري الرياح التي كانت تمدها حرارة الشمس وتوصل بها صعداً ثم عبث بي النسيم فحملني الى حرجة من الصنوبر وسار بي فوقها وفوق السهول المجاورة لها ورأيت في طريقي كثيرات من اخواتي راكبات بالونياتها وسائرات بين الارض والسماء ولكني رأيت طيوراً صغيرة من النوع المعروف بالسنونو تنقضُّ عليها وتخطفها فقلت ويلاهُ حتى في الهواء لا سلام من الاعداء ومن اراد السلامة لم يجدها ولو اتخذ لها نفقاً في الارض او سلّماً في السماء . فاطلت خيطي وجعلت اهبط رويداً رويداً الى ان وقعت على بعض العشيم ولم اكد اصل اليه حتى رأيت زنبوراً كالتنين واقفاً في انتظاري . ونحن العناكب لا نخاف من الزنابير اذا كنا في بيوتنا بل نحتال عليها وننسج حولها خيوطنا حتى نمنعها من الحركة ثم نمص دمها وهي كبيرة كثيرة الغذاء فنقتات بها اياماً واما اذا رأتنا خارج بيوتنا فانها تنتقم منا فيهجم الزنبور على العنكبوت ويقبض عليها بفكيه ويحملها الى بيته ويأكلها دفعة واحدة ولا مأرب لي بذلك ولم تخنِ الحيلة فقطعت خيطي وارتميت في العشيم كقطعة من الحجر فوصلت الى اسفله وقد شلَّ الخوف اعصابي

وبرقت السماء وارعدت تلك الليلة وسقط بَرَدٌ كبير وقت في الصباح واذا الريح تهب باردة والسماء مغطاة بالسحب فصغرت نفسي فيَّ وشعرت بوحدة ووحشة فصعدت على رأس الشجرة التي كنت فيها وافرزت الخيوط من مغازلي وصعدت بها الى الجو فساقتني الرياح ورمتني على ضفة النهر في المكان الذي قضيت فيه زهرة صباي . واعتدل الهواء حينئذٍ وكنت قد بلغت اشدي فاتت نفسي الى زوجة تكون معي

فقلت مالك وللزوجة وانت تعلم عاقبة امرك معها

فقال ما اهمل والحب قهّار فتزوجت وقضينا شهر العسل والآن حمَّ القضاء

قال ذلك وهو ينظر يمنةً ويسرةً كالمتحير . وبينما هو كذلك واعضاؤه ترتجف خوفاً واذا انظر اليه مدهوشاً خرجت عنكبوت كبيرة من الغار ووثبت عليه لتحاول دفعها عنه ولكنها امسكت به وخطفت انفاسه وفي اقل من خمس دقائق تركته جلداً خاوياً . انتهى عن الانكليزية بتصرف